

الوحدة الرابعة

ان كنا نريد أن نخضع أطروحة ما الى تقييم منطقي من خلال ترابط أجزائها، فحري بنا أن نلقي نظرة الى هذه الاجزاء ونحدد ما هي وكيفية تعاملنا معها. وبالحالة النموذجية فالأجزاء التي نعني هي عبارة عن جمل خبرية مفيدة تحتوي الأفكار الرئيسية في الاطروحة. في المقال الذي عالجنه سابقا : «ربط مترامن أم متسلسل»، رأينا كيف يمكننا تلخيص الأفكار الرئيسية المطروحة على الشكل الآتي :

- * القضايا العربية مترابطة مع بعضها موضوعيا
- * الحلول الجزئية لا تأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار
- * إذن، الحلول الغربية، كونها جزئية، ليس من شأنها إنهاء أزمة الخليج

ونحن نلاحظ هنا كيف يمكن لنا من خلال التلخيص والتركيز أن نفعل أمرين في آن واحد :

أولا : إعادة صياغة الأفكار الرئيسية في شكل جمل خبرية مفيدة ومفردة.
ثانيا : تركيب هذه الأفكار على شكل علاقات وتسلسل، وكأن الكاتب يطرح أفكارا معينة يعتمدها كأسباب للتوصل الى نتيجة يود أن يقنعنا بها. وبشكل عام وكتمهيد أولي يمكننا هنا ان نقول ان الجمل الخبرية المفيدة التي نعبر عن أفكارنا بها هي أقوال جازمة، وأن العلاقات والتسلسل ما بين الأقوال الجازمة هي حججا.

القول الجازم :

نعرف القول الجازم على انه ذلك القول الذي يعبر به المتكلم/الكاتب عن جزمه بوجود علاقة، إيجابا أم نفيًا، بين أمرين هما الموضوع و المحمول.

الموضوع :

نعرف الموضوع على انه ذلك الجزء من القول الذي يعبر عن الأمر أو الشيء الذي يود المتكلم الحديث عنه.

المحمول :

نعرف المحمول على انه ذلك الجزء من القول الذي يعبر عن الأمر أو الشيء الذي يصف المتكلم الموضوع به.

أمثلة :

- (١) سامر متحدث لبق
- (٢) القضية الفلسطينية معقدة
- (٣) عدد الطلبة الذين سجلوا لمساق فلسفة ١٣١ محدود جدا

نقول هنا أن المتكلم/الكاتب يريد في المثال الأول أن يتحدث عن سامر، وبالتالي فإن سامر هو موضوع حديثه، وأنه يريد وصفه أو القول عنه بأنه متحدث لبق، والتحدث بلباقة اذن هو الوصف أو المحمول الذي يصف سامر به أو يحمله عليه.

أما في المثال الثاني فالموضوع، أي موضوع الحديث، هو القضية الفلسطينية، ويقول الكاتب/المتكلم عنها بأنها معقدة، أي يصفها بالتعقيد، أو يحمل التعقيد عليها، وفي المثال الثالث فالموضوع هو عدد الطلبة الذين سجلوا لمساق فلسفة ١٢١، والكاتب/المتكلم يريد الحديث عنهم، أي عن عددهم، وهو يقول عن هذا العدد بأنه محدود جداً، فهو يصف العدد بكونه محدوداً.

تنبية :

لاحظ هنا التمييز بين استعمالين لكلمة «موضوع» : عندما نقرأ مقالا أو أطروحة نتساءل، ما هو موضوع المقال، أي ما هي الأفكار المطروحة في المقال؟ وعندما نحدد هذه الأفكار على شكل جمل خبرية مفيدة، أو أقوال جازمة، فيصبح لدينا موضوع لكل قول من الأقوال الجازمة. فالاستعمال الأول لكلمة «موضوع» هو استعمال عام، والاستعمال الثاني هو استعمال خاص في المنطق.

xxxxxxxxxxxx

القول الجازم = موضوع + محمول

يتكوّن القول الجازم من موضوع ومحمول. ومعنى ذلك ان القول الذي لا يحتوي على موضوع أو على محمول ليس قولاً جازماً. والآن دعنا أن نتساءل عن مصطلح مفرد كـ «فلسطين»، أكنّا قد قرأناه أو سمعناه، والسؤال هو : هل يمكننا اعتبار هذا المصطلح قولاً جازماً؟

استذكّرا لما جاء في بداية هذه الوحدة نقول أن أجزاء الأطروحة التي نود عادة إخضاعها إلى تقييم منطقي هي بالحالة النموذجية عبارة عن جمل خبرية مفيدة. ولكننا قلنا أيضاً في تعريفنا للقول الجازم انه ذلك القول الذي به يعبر المتكلم/الكاتب عن جزمه بوجود علاقة بين موضوع ومحمول. وهذا الأمر الأخير يعني أن علينا التمييز بين مستويين، الذهني واللغوي، فالمتكلم يجزم في ذهنه بوجود علاقة، ويعبر عن هذا الجزم بالقول.

أخذاً هذا التمييز بعين الاعتبار نرجع ثانية ونضع السؤال الملح بالشكل الآتي : هل بالامكان استعمال المصطلح «فلسطين» كتعبير عن جزم بين موضوع ومحمول، بحيث يكون المتكلم يجزم باستعماله بوجود علاقة ويستعمل هذا المصطلح للتعبير عن جزمه بوجود هذه العلاقة؟

الإجابة :

لنفترض إن حواراً جارياً بين شخصين يسأل أحدهما الآخر «من أين أنت؟» فيجيبه الثاني على سؤاله «فلسطين». في هذه الحالة، يعبر المصطلح «فلسطين» بشكل مصغر عن القول «أنا من فلسطين»، حيث الموضوع هو المتكلم نفسه، والوصف أو المحمول هو «من فلسطين». بالتالي، يمكننا تخيل مواقع يستعمل فيها المصطلح المفرد كقول جازم، أي للتعبير عن جزم، والمرجع النهائي في حسم الأمور هو تلك العملية التي يقوم بها المتكلم، أي علينا أن نتساءل فيما إذا كان هذا المصطلح الواقع بين أيدينا يعبر عن جزم عند صاحبه بوجود علاقة بين موضوع ومحمول.

xxxxxxxxxxxx

الجزم هو عملية ذهنية يربط بها المتكلم/الكاتب بين موضوع ومحمول ويعبر عنها لغوياً بقول نسميه قولاً جازماً. وبالحالة النموذجية، يأخذ هذا القول الجازم شكل الجملة الخبرية المفيدة. ورأينا أن القول الجازم قد يعبر عنه بأشكال لغوية أخرى، كالمصطلح المفرد. والآن دعنا نتمحص في عملية الجزم هذه، هل هي العملية الذهنية/اللغوية الوحيدة التي يقوم بها المتحدث/الكاتب؟

الواقع إن الإنسان منا يقوم من خلال اللغة بعمليات كثيرة ومتنوعة، فنحن نجزم، ونأمر، وننهي، ونوعد، ونتوعد، ونهدد، ونتساءل، ونندد، ونستنكر، ونسترحم، ونتمنى، ونستدعي، ونستفسر، ونثني، إلخ.

والفرق بين هذه الأفعال اللغوية المتنوعة واضح والفرق بين الجزم وغيره من الأفعال اللغوية هو تحديداً بأن الإنسان منا يربط في الجزم بين أمرين ويعبر عن اعتقاده أو جزمه هذا بالقول، وهذا الفعل يختلف، مثلاً، عن الاستدعاء أو التمني أو التعجب أو الأمر أو الاستنكار، بل هو أقرب للإخبار، حتى يكاد يكون هو في كثير من الأحيان، فإني أجزم بوقوع مجزرة في ساحة الحرم الشريف، وهذا تعبير عن واقعة، أو حقيقة، حسب اعتقادي، ثم انني أستنكر وقوع مجزرة، أي انني أستنكر هذه الواقعة، فالجزم بوقوعها أمر يختلف عن استنكار وقوعها، وإن تساءلت عن وقوعها، فهذا أمر ثالث، وإن أمرت بحدوثها فهذا موضوع رابع، وهكذا.

وبالعادة، فإن التقييم المنطقي والذي نحن بصده إنما ينظر للأقوال الجازمة دون غيرها لمعالجتها، على ما سوف نبين، والمنطق لا تعنيه الأفعال اللغوية الأخرى، إلا إذا جاءت على صيغة الإخبار، كأن نقول،

أمرت السلطات بايقاع مجزرة

أو

استنكر المواطنون وقوع المجزرة

فالجملّة الأولى لا تعبّر عن أمر، وإنما تخبر عنه، والجملّة الثانية لا تعبّر عن استنكار، بل تخبر عنه، ويمكننا القول إنّنا نتكلّم في الجملّة الأولى عن السلطات، فهي الموضوع، وإنّنا نقول عنها إنّها أمرت بإيقاع مجزرة، وهذا وصف نصف به الموضوع، أو نحمله عليه. والسبب ان المنطق لا يعالج إلاّ الأقوال الجازمة هو أنّها تطرح على أنّها تعبّر عن وقائع أو حقائق، حتى لو كانت فرضية، وأمّا الأفعال اللغوية الأخرى فيمتنع (أو يعجز) المنطق عن تقييمها، كما يمتنع (أو يعجز) عن تقييم المقطوعة الموسيقية، أو الشعرية، أو الأدبية.

xxxxxxxxxx

تنبيه :

من المفيد لنا أن نتطرق الى موضوع أخير في هذا السياق قبل أن نمضي قدماً لمعالجة التسلسل بين الأقوال الجازمة، وهنا نريد ان نثير مرة ثانية قضية التعبير اللغوي عن عملية الجزم. فكنا قد قلنا بأن الجزم يعبر عنه نموذجياً بالجملّة الخبرية المفيدة، أي ان الشكل اللغوي النموذجي للقول الجازم هو الجملّة الخبرية المفيدة، وكذلك فان الشكل اللغوي النموذجي للتساؤل هو الجملّة الإستفسارية، وللتمني جملّة التمني، وهكذا دواليك. لكن هذه النماذج يجب ألاّ تصرف أنظارنا عن إمكانية وجود الإستثناءات، واستعمال المصطلح المفرد «فلسطين» كان مثالا لذلك، وتوجد أمثلة أخرى، كأن نستعمل جملّة استفسارية ليس للتساؤل بل للتعبير عن جزم، كالقول مثلاً:

«ألم تكن أنت صاحب الفكرة القائلة بالمطالبة في الضمّ»

وهنا فان الجملّة الإستفسارية لا تعبّر بالضرورة عن تساؤل، بل قد تستعمل للإخبار، حيث يكون المتحدث معبراً في هذا القول عن جزمه بأن المخاطب هو صاحب الفكرة المعنية. والإستثناءات هذه متنوعة، ويمكننا تصوّر استعمال جمل وأقوال مختلفة للتعبير عن الجزم ليست جملاً خبرية مفيدة، كأن أريد الإشارة بأن أمراً ما لم يحدث من خلال استعمال جملّة في صيغة التمنيّ بالفعل الماضي، وهناك أمثلة أخرى، علماً بأنه توجد من جهة ثانية أيضاً حدود لقدرة المتكلم على المناورات اللغوية الهامشية هذه.

xxxxxxxxxx

يمكننا إذن أن نلخص الموضوع كالتالي : الجزم هو عملية ذهنية يربط بها المتكلم بين أمرين، إيجابياً أم نفيّاً، ويعبر عنه بالقول، فيكون قوله بمثابة إخبار عن اعتقاده، ويسمى هذا القول قولاً جازماً، وهو بالحالة النموذجية جملّة خبرية مفيدة، علماً بأن هناك إستثناءات، وبالتالي فان وقفنا أمام قول أو جملّة ما فيجب ان نفحص الأمر دائماً بسؤال أنفسنا، "هل يمكن لنا اعتبار هذا القول أو الجملّة تعبير عن جزم؟".

والقول الجازم يتكون من موضوع ومحمول، وقد يكون الموضوع مضمّر عنه، وقد يكون مضمّراً به، والقول ان العلاقة بين الموضوع والمحمول قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية يعني فقط ان المتحدث إمّا أن يصف الموضوع بوصف ما، أو أن ينفي هذا الوصف عنه، فهو يقول مثلاً:

"سامر متحدث لبق"

أو "سامر ليس متحدثاً لبقاً"

ونقول في الحالتين ان سامر هو موضوع الحديث، أي هو الموضوع، وان "التحدث بلباقة" هو الوصف أو المحمول، وإننا في الجزم الأول نحمل التحدث بلباقة على سامر، أي نصفه بهذه الصفة، وإننا في الجزم الثاني ننفي كون سامر متصفاً بهذا الوصف، فعلاقة المحمول بالموضوع في الجملة الثانية هي علاقة النفي أو السلب.

أمثلة :

× "العراق غير معني بافتعال حرب مع الولايات المتحدة"

× البيت ذو الأقواس والذي يقع بخلف العمارة التجارية في وسط البلدة معروض للإيجار"

في المثال الأول

الموضوع : العراق

المحمول : اهتمامه بافتعال حرب مع الولايات المتحدة

العلاقة : نفي أو سلب

في المثال الثاني

الموضوع : البيت ذو الأقواس والذي يقع بخلف العمارة التجارية في وسط البلدة

المحمول : عرضه للإيجار

العلاقة : الايجاب

× × × × × × × × × ×

تمرين :

كيف نعالج المثال :

"سمير يحب ليلى" ؟